
١٢٠٥
كتاب
القسطاس
محمد
الغزالى



٤٣٢ القسطاس، تأليف محمد بن محمد الغزالى ٥٠٥هـ
ق ٥ غ
خط القرن الرابع عشر الهجرى تقديرا .
٢٨ق ١٢س ١٤×٢٠سم
نسخة جيدة ، خطها نسخ معتاد ، ناقصة الآخر
طبع
١٢٠٥
الأعلام ٧ : ٢٤٧ دار الكتب المصرية ١ : ٢٠١
١- أصول الدين أ- الغزالى ، محمد بن محمد
-٥٠٥هـ . ب- تاريخ النسخ


المكتبة العامة

كتاب القسطاس للامام الغزالي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

احمد الله تعالى اولا، واصلي على رسوله المصطفى ثانيا،
واقول اخواني اهل فيكم من يعيرني سمعه لاحدثه بشيء من
اسماري، فقد استقبلني في بعض اسفاري رفيق من رفقاء
اهل التعليم، وخافصني مخافصة من يتحدى باليد البيضاء
والحجة الغراء، وقال لي اراك تدعي كمال المعرفة فبأي ميزان
تدرك حقيقة المعرفة ابميزان الرأي والقياس، وذلك في غاية
التعارض والالتباس، ولاجله ثار الخلاف بين الناس، ام
بميزان التعليم، فيلزمك اتباع الامام المعلم المعصوم،

وما اراك تحرص على طلبه فقلت اما ميزان الرأي
والقياس فحاش لله ان اعتصم به فذلك ميزان
الشيطان، ومن زعم من اصحابي ان ذلك ميزان
المعرفة، فاسأل الله تعالى ان يكفي شره عن الدين
فانه للدين صديق جاهل، وهو شر من عدو عاقل،
ولو رزق سعادة مذهب التعليم لتعلم اولا الجدال من القرآن
حيث قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن، وعلم ان المدعو الى الله بالحكمة
قوم، وبالموعظة قوم، وبالمجادلة قوم، وان الحكمة ان غذي
بها اهل الموعظة اضربهم كما يضر بالطفل الرضيع التغذية
بلحم الطير، وان المجادلة ان استعملت مع اهل الحكمة اشمأزوا

عنها كما يشمئز طبع الرجل القوي من الارتضاع بلبن
الآدمي، وان من استعمل الجدال مع اهل الجدال لا بطريق
الاحسن كما يعلم من القرآن كان كمن غذى البدوي
بخبز البر وهو لم يألف الا بالتمر، او البلدي بالتمر وهو لم يألف
الا بالبر، وليته كانت له اسوة حسنة في ابرهيم الخليل
حيث حاج خصمه، فقال ربي الذي يحيي ويميت، فلما رأى
ان ذلك لا يناسبه وليس حسنا عنده، حتى قال انا احيي
واميت، عدل الى الاوفق لطبعه والاقرب الى فهمه، فقال
فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
فبهت الذي كفر، ولم يركب الخليل ظهر اللجاج في تحقيق عجزه
عن احياء الموتى، اذ علم ان ذلك يعسر عليه فهمه فانه يظن

ان القتل اماتة من جهة وتحقيق ذلك لا يلايم قريحته
ولا يناسب حده في البصيرة ودرجته ولم يكن من قصد
الخليل افناؤه بل احياؤه، والتغذية بالغذاء الموافق احياء
واللجاج بالازهاق الى ما لا يوافق افناء، وهذه دقيقة لا يدرك
الا بنور التعليم المقتبس من اشراق عالم النبوة، فلذلك حرموا
عن التفطن له اذ حرموا عن سر مذهب التعليم، فقال فانت
اذا استوعرت سبيلهم، واستوهنت دليلهم، فبما تزن معرفتك
قلت ازنه بالقسطاس المستقيم ليظهر لي حقها وباطلها
ومستقيمها ومايلها اتباعا لله تعالى وتعلما من القرآن
المنزل على لسان نبيه الصادق حيث قال وزنوا بالقسطاس
المستقيم فقال وما القسطاس المستقيم قلت هي الموازين

الخمس التى انزلها الله تعالى فى كتبه وعلم انبياءه
الوزن بها فمن تعلم من رسل الله ووزن بميزان الله
فقد اهتدى، ومن عدل عنها الى الرأى والقياس فقد ضل
وتردى، فقال اين الميزان فى القرآن، وهل هذا الا افك
وبهتان، قلت الم تسمع قوله تعالى فى سورة الرحمن الرحمن
علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الى ان قال والسماء رفعها
ووضع الميزان الا تطغوا فى الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان، الم تسمع قوله فى سورة الحديد لقد ارسلنا رسلنا بالبينات
وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط اتظن ان
الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البر والشعير والذهب والفضة،
اتتوهم ان الميزان المقابل وضعه برفع السماء فى قوله تعالى والسماء



رفعها ووضع الميزان هو الطيار والقبان، ما ابعد هذا الحسبان واعظم
هذا البهتان، فاتق الله ولا تتعسف فى التاويل، واعلم يقينا ان هذا
الميزان معرفة الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته لتتعلم
كيفية الوزن به من انبيائه كما تعلموه من ملائكته، والله تعالى هو المعلم
الاول والثانى جبرئيل والثالث الرسول، والخلق كلهم يتعلمون من
الرسل ما لهم طريق فى المعرفة سواه، فقال فبم يعرف ان ذلك الميزان
صادق ام كاذب أبعقلك ونظرك والعقول متعارضة ام بالامام
المعصوم الصادق القايم بالحق فى العالم، وهو مذهبى الذى ادعو اليه،
فقلت ذلك ايضا اعرفه بالتعليم، ولكن من امام الائمة محمد بن عبد الله
بن عبد المطلب صلى الله تعالى عليه وسلم، فانى وان كنت لا اراه فانى
اسمع تعليمه الذى تواتر الى تواترا لا اشك فيه، وانا تعليم القرآن

وبيان صدق موازين القرآن معلوم من نفس القرآن فقال فهات
برهانك واخرج من القرآن ميزانك واظهر لي كيف فهمته وكيف
فهمت من نفس القرآن صدقه وصحته فقلت فهات انت حدثني
بم تعرف صدق ميزان الذهب والفضة وصحته ومعرفة ذلك
فرض دينك اذا كان عليك دين حتى تقضيه تاما من غير نقصان او كان
لك على غيرك دين حتى تاخذه عدلا من غير رجحان فاذا دخلت سوقا
من اسواق المسلمين واخذت ميزانا من الموازين قضيت واستقضيت
به الدين فبم تعرف انك لم تظلم بنقصان في الاداء ورجحان في الاستيفاء
فقال احسن الظن بالمسلمين واقول انهم لا يشتغلون بالمعاملة الا بعد
تعديل الموازين فان عرض لي شك في بعض الموازين اخذته ورفعته ونظرت
الى كفتي الميزان ولسانه فاذا استوى انتصاب اللسان من غير ميل الى احد
الجانبين ورأيت مع ذلك تقابل الكفتين عرفت انه ميزان صحيح

صادق فقلت هب ان اللسان قد انتصب على الاستواء وان الكفتين
تحاذيا بالسواء فمن اين تعلم ان الميزان صادق فقال اعلم ذلك علما
ضروريا يحصل لي من مقدمتين احديهما تجربية والاخرى حسية واما
التجربية فهي اني علمت بالتجربة ان الثقيل يهوي الى الاسفل وان الاثقل
اشد هويا فاقول لو كانت احدى الكفتين اثقل لكانت اشد هويا
وهذه مقدمة كلية تجربية حاصلة عندي ضرورة المقدمة الثانية
ان هذا الميزان بعينه رأيته لم يهو احدى كفتيه بل حاذت الاخرى محاذاة
مساواة وهذه مقدمة حسية شاهدتها بالبصر فلا اشك لا في مقدمة الحسية
ولا في الاولى وهي مقدمة تجربية ويلزم في قلبي من هاتين المقدمتين نتيجة
ضرورية وهو استواء الميزان اذ اقول لو كان احدهما اثقل لكان اهوى ومحسوس
انه ليس باهوى فمعلوم انه ليس باثقل فقلت فهل هذا الا رأي وقياس

عقل قال هيهات فان هذا علم ضروري لزم من مقدمات يقينية حصل اليقين بها من التجربة والحس فكيف يكون هذا رأيا وقياسا والقياس حدس وتخمين لا يفيد برد اليقين، وانا احس من هذا برد اليقين

قلت فان عرفت صحة هذا الميزان بهذا البرهان فبم تعرف الصنجة والمثقال فلعله اخف واثقل من المثقال الصحيح فقال ان شككت في هذا فآخذ عياره من صنجة معلومة عندي واقابلها بها فاذا ساوى علمت ان الذهب اذا ساواه كان مساويا للصنجة فان المساوي للمساوي مساو قلت وهل تعلم واضع الميزان في الاصل من هو وهو الواضع الذي منه تعلم هذا الوزن قال لا ومن اين احتاج اليه وقد عرفت صحة الميزان بالمشاهدة والعيان بل آكل البقل من حيث يؤتى به ولا اسأل عن المبقلة، فان واضع الميزان لا يراد لعينه بل يراد ليعرف منه صحة الميزان وكيفية الوزن وانا قد عرفته كما حكيته وعرفته فاستغنيت

عن مراجعة واضع الميزان عند كل وزن فان ذلك يطول ولا يظفر به في كل حين مع اني في غنية عنه قلت فان اتيتك بميزان في المعرفة مثل هذا واصح منه وازيد عليه بان اعرف واضعه ومعلمه ومتعلمه فيكون واضعه هو الله ومعلمه جبرئيل ومتعلمه الخليل ومحمد وساير الانبياء عليهم السلام وقد شهد الله لهم في ذلك بالصدق وهل تقبل مني ذلك وهل تصدق به فقال اي والله كيف لا اصدق اذ كان في الظهور مثل ما حكيته لك فقلت الآن اتوسم فيك شمايل الكياسة، وقد صدق رجائي في تقويمك وتفهيمك حقيقة مذهبك في تعليمك فاكشف ذلك عن الموازين الخمسة المنزلة في القرآن لتستغني به عن كل امام وتتجاوز حد العميان، ويكون امامك المصطفى وقايدك القرآن، ومعيارك المشاهدة والعيان، فاعلم ان موازين القرآن في الاصل ثلاثة ميزان التعادل، وميزان التلازم، وميزان التعاند لكن ميزان

التعادل ينقسم الى ثلاثة الى الاكبر والاوسط والاصغر فيصير المجموع خمسة

**القول في الميزان الاكبر من موازين التعادل**

ثم قال لي هذا الرفيق الكيس من رفقاء اهل التعليم اشرح لي الميزان الاكبر من موازين التعادل اولا واشرح لي معنى هذه الالقاب وهو التعادل والتلازم والتعاند والاكبر والاوسط والاصغر فانها القاب غريبة فلا اشك ان تحتها معان دقيقة **فقلت** اما معنى هذه الالقاب فلا نفهمها الا بعد شرحها وفهم معانيها لتدرك بعد ذلك مناسبة القابها لحقايقها، واعلمك اولا ان هذا الميزان يشبه الميزان الذي حكيته في المعنى دون الصورة فانه ميزان روحاني، فلا يساوي الميزان الجسماني ومن اين يلزم ان يساويه والموازين الجسمانية ايضا تختلف فان القرسطون ميزان والطيار ميزان بل الاسطرلاب ميزان لمقادير حركات الافلاك والمسطرة ميزان لمقادير الابعاد في الخطوط والشاقول ميزان لتحقيق الاستقامة والانحناء وهي وان اختلفت

صورها مشتركة في انها تعرف بها الزيادة من النقصان بل العروض ميزان للشعر يعرف به اوزان الشعر ليتميز منزحفه من مستقيمه وهو اشد روحانية من الموازين المجسمة، ولكنه غير متجرد عن علايق الاجسام لانه ميزان الاصوات ولا ينفصل الصوت عن الجسم، واشد الموازين روحانية ميزان يوم القيمة اذ به يوزن اعمال العباد وعقايدهم ومعارفهم، والمعرفة والايمان لا تعلق لهما بالاجسام فلذلك كان ميزانه روحانيا صرفا ولذلك ميزان القرآن للمعرفة روحاني لكن يرتبط تعريفه في عالم الشهادة بغلاف لذلك الغلاف التصاق بالاجسام وان لم يكن هو جسما فان تعريف العلم في هذا العالم لا يمكن الا بشيء فيه وذلك بالاصوات والصوت جسماني او بالكتبة وهي الرقوم وهي ايضا نقش في وجه القرطاس وهو جسم هذا حكم غلافه الذي يعرض فيه وانما هو في نفسه روحاني محض لا علاقة له مع الاجسام اذ يوزن بها معرفة الله الخارجة عن عالم الاجسام المقدس عن ان يناسب الجهات.

والاقطار من نفس الاجسام لكنه مع ذلك ذو عمود وكفتين والكفتان
متعلقتان بالعمود والعمود مشترك في الكفتين لارتباط كل واحد منهما بها
هذا في ميزان التعادل ، اما ميزان التلازم فهو بالقبان اشبه لانه ذو كفة
واحدة لكن يقابلها من الجانب الآخر الرمانة وبها تظهر التفاوت
والتقدير فقال هذه طنطنة عظيمة فاين المعنى فاني اسمع جعجعة ولا ارى
طحنا فقلت له اصبر ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب
زدني علما ، واعلم ان العجلة من الشيطان والتأني من الله ، واعلم ان
الميزان الاكبر هو ميزان الخليل الذي استعمله مع نمرود فمنه تعلمنا هذا الميزان
لكن بواسطة القرآن ، وذلك ان نمرود ادعى الالهية ، وكان الاله عندهم بالاتفاق
عبارة عن القادر على كل شيء ، فقال ابراهيم الاله الهي لانه الذي يحيي ويميت
وهو القادر عليه وانت لا تقدر عليه ، فقال انا احيي واميت يعني انه يحيي
النطفة بالوقاع ويميت بالقتل ، فعلم ابراهيم ان ذلك يعسر عليه فهم
بطلانه فعدل الى ما هو اوضح عنده ، فقال فان الله يأتي بالشمس من



المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ، وقد اثنى الله تعالى
وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ، فعرفت من هذا ان الحجة والبرهان
في قول ابراهيم وميزانه فنظرت في كيفية وزنه كما نظرت انت في ميزان
الذهب والفضة فرأيت في هذه الحجة اصلين قد ازدوجا فتولد منهما
نتيجة هي المعرفة ، اذ القرآن مبناه على الحذف والايجاز ، وكمال صورة هذا
الميزان ان تقول كل من يقدر على اطلاع الشمس فهو الاله وهذا اصل ، والهي هو
القادر على الاطلاع وهذا اصل آخر فلزم من مجموعهما بالضرورة ان الهي هو
الاله يا نمرود ، فانظر الآن هل يمكن ان يعترف بالاصلين معترف ثم يشك
في النتيجة ، وهل يتصور ان يشك في هذين الاصلين شاك هيهات فان قولنا
الاله هو القادر على اطلاع الشمس لا شك فيه لان الاله كان عندهم وعند كل
احد عبارة عن القادر على كل شيء واطلاع الشمس من جملة الاشياء وهذا
الاصل معلوم بالوضع وبالاتفاق ، وقولنا القادر على الاطلاع هو الله

دونك معلوم بالمشاهدة فان عجز نمرود وعجز كل احد سوى من يحرك الشمس
مشاهد بالحس ويعني بالاله محرك الشمس ومطلعها، فيلزم منا من معرفة الاصل
الاول المعلوم بالوضع المتفق عليه، والاصل الثاني المعلوم بالمشاهدة ان نمرود
ليس باله وانما الاله هو الله تعالى، فراجع الان نفسك هل ترى هذا اوضح من
المقدمة التجربية والحسية التي بنيت عليها صحة ميزان الذهب **فقال** هذه المعرفة
لازمة منه بالضرورة ولا يمكنني ان تشكك في ولا ان اشك في لزوم هذه
النتيجة منها ولكن هذا لا ينفعني الا في هذا الموضع وعلى الوجه الذي استعمله الخليل وذلك
في نفي الالهية نمرود واثبات الالهية لمن ينفرد باطلاع الشمس فكيف ازن
بها ساير المعارف التي تشكل علي فاحتاج الى تمييز الحق فيها عن الباطل **قلت**
من وزن الذهب بميزان يمكنه ان يزن به الفضة وساير الجواهر لان الميزان
عرف مقداره لا لانه ذهب بل لانه ذو مقدار فكذلك هذا البرهان كشف لنا
عن هذه المعرفة لا لعينها بل لانها حقيقة من الحقايق ومعنى من المعاني فيتناول
انه لزم هذه النتيجة منه وناخذ روحه ونجرده عن هذا المثال الخاص حتى ننتفع به



حيث اردنا، وانما لزم هذا لان الحكم على الصفة حكم الموصوف بالضرورة
وبيانه ان ايجاز هذه الحجة ان ربي مطلع والمطلع اله فيلزم منه ان ربي اله
فالمطلع صفة الرب، وقد حكمت على المطلع الذي هو صفته بالالهية فلزم
منه الحكم على ربي بالالهية، فكذلك في كل مقام حصلت لي معرفة بصفة
الشيء وحصلت معرفة اخرى بثبوت حكم لتلك الصفة فيتولد لي منهما
معرفة ثالثة بثبوت الحكم على الموصوف بالضرورة **فقال** هذا يكاد يدق دركه
عن فهمي فان تشككت فيه فماذا اصنع حتى يزول الشك **قلت** خذ عياره
من الصنجة المعروفة عندك كما فعلت في ميزان الذهب والفضة، فقال
كيف اخذ عيارها واين الصنجة المعروفة في هذا الفن، قلت الصنجة المعروفة
هي العلوم الاولية الضرورية المستفادة اما من الحس والتجربة او غريزة العقل فانظر
في الاوليات هل يتصور ان يثبت حكم على صفة الا ويتعدى الى الموصوف
فاذا مر بين يديك مثلا حيوان منتفخ البطن وهو بغل فقال قايل

هذا حامل فقلت له هل تعلم ان البغل عقيم لا يلد، فقال نعم اعلم هذا بالتجربة، فقلت
فهل تعلم هذا بغل فقط، فقال نعم قد عرفت ذلك بالحس والابصار، فقلت
فالآن هل تعرف انه ليس بحامل فلا يمكنه ان يشك فيه بعد معرفة الاصلين
اللذين احده تجربي والآخر حسي بل يكون العلم بانه ليس بحامل علما ضروريا
متولدا من بين العلمين اليقين كما تولد علمك في الميزان من العلم التجربي
بان الثقل هاوي والعلم الحسي فان احدى الكفتين ليست هاوية بالاضافة
الى الاخرى، فقال قد فهمت هذا فهما واضحا ولكن لم يظهر لي ان سبب لزومه
اذا الحكم على الصفة حكم على الموصوف فقلت تامل فان قولك هذا بغل
وصف والصفة هو البغل وقولك كل بغل عقيم حكم على البغل الذي هو صفة
بالعقم على الحيوان الموصوف بانه بغل، وكذلك اذا ظهر لك مثلا ان كل حيوان
حساس ثم ظهر لك في الدود انه حيوان فلا يمكنك ان تشك في انه حساس
ومنهاجه ان تقول كل دود حيوان وكل حيوان حساس فكل دود حساس لان

قولك كل دود حيوان وصف للدود بانه حيوان والحيوان صفة فاذا حكمت
على الحيوان بانه حساس او جسم او غيره دخل فيه الدود لا محالة وهذا ضروري لا يمكن
فيه الشك نعم شرط هذا ان يكون الصفة مساوية للموصوف او اعم منه حتى يكون
الحكم عليه يشمل الموصوف به بالضرورة، وكذلك من حكم في النظر الفقهي ان كل
نبيذ مسكر وكل مسكر حرام لم يمكنه ان يشك في ان كل نبيذ حرام لان المسكر وصف
النبيذ فالحكم عليه بالتحريم يتناول النبيذ اذ يدخل فيه الموصوف لا محالة، وكذلك
في جميع ابواب النظريات فقال قد فهمت فهما ضروريا ان ايقاع الازدواج
بين الاصلين على هذا الوجه مولد لنتيجة ضرورية وان برهان الخليل برهان
صحيح وميزانه ميزان صادق وتعلمت حده وحقيقته وعرفت عياره من الصنجات
المعروفة عندي، ولكن اشتهي ان اعرف مثالا لاستعمال هذا الميزان من مظان الاشكال
في العلوم، فان هذه الامثلة واضحة بانفسها لا يحتاج فيها الى ميزان وبرهان،
فقلت هيهات فبعض هذه الامثلة ليست معلومة بانفسها بل هي متولدة

من ازدواج الاصلين اذ لا يعرف كون هذا الحيوان مثلا عقيما الا من عرف بالحس انه بغل وبالتجربة ان البغل لا يلد، وانما الواضح بنفسه هو الاولى، فاما المتولد من اصلين فله اب وام فلا يكون اوليا واضحا بنفسه بل بغيره، ولكن ذلك الغير اعنى الاصلين قد يكون واضحا في بعض الاحوال وذلك بعد التجربة وبعد الابصار، وكذلك كون النبيذ حراما ليس واضحا بنفسه بل يعرف باصلين احدهما انه مسكر وهذا يعلم بالتجربة والثاني بان كل مسكر حرام وهذا بالخبر الوارد عن الشارع، فهذا يعرفك كيفية الوزن بهذا الميزان وكيفية استعماله، وان اردت مثالا اغمض من هذا فامثلة ذلك عندنا لا تنحصر ولا تتناهى بل بهذا الميزان عرفنا اكثر الغوامض، واقنع منه بمثال واحد فمن الغوامض ان الانسان حادث بنفسه او له سبب وصانع، وكذلك العالم فاذا راجعنا هذا الميزان عرفنا ان له صانعا وان صانعه عالم فانا نقول كل جايز فله سبب واختصاص العالم، اذ الانسان بمقداره الذي اختص به جايز فاذن يلزم منه ان له سببا ولا يقدر على التشكك في هذه النتيجة من سلم الاصلين وعرفهما

لكن ان شك في الاصلين فيستنتج ايضا معرفتها من اصلين آخرين واضحين الى ان ينتهي الى العلوم الاولية التي لا يمكن التشكك فيها، فان العلوم الجلية الاولية هي اصول العلوم الغامضة الخفية وهي بذورها ولكن يستثمرها منها من يحسن الاستثمار بالحراثة والاستنتاج بايقاع الازدواج بينهما **فان قلت** انا شاك في الاصلين جميعا فلم قلت ان كل جايز فله سبب ولم قلت ان اختصاص الانسان بمقدار مخصوص جايز وليس بواجب **فاقول** اما قولي كل جايز له سبب فواضح اذا فهمت معنى الجايز لاني اعني بالجايز ما يتردد بين قسمين متساويين فاذا تساوى شيئان لم يختص احدهما بوجود وعدم من ذاته لان ما ثبت للشيء ثبت لمثله بالضرورة وهذا اولي، واما قولي اختصاص الانسان بهذا المقدار مثلا جايز وليس بواجب كقولي ان الخط الذي يكتبه الكاتب وله مقدار مخصوص جايز اولي، اذ الخط من حيث انه خط لا يتعين له مقدار واحد بل يتصور ان يكون اطول واقصر فاختصاصه بمقدار عما هو اطول واقصر بسبب الفاعل لا محالة اذ نسبة المقادير الى قبول الخط

لها متساوية، وهذا ضروري كذلك نسبة المقادير الى شكل الانسان واطرافه
متساوية فتخصيصها لا محالة بفاعل، ثم اترقى منه فاقول فاعله عالم لان
كل فعل مرتب محكم فيستند الى علم فاعل فههنا اصلان اذا عرفناهما لم نشك
في النتيجة احدهما ان بنية الادمي مرتب وهذا يعرف بالمشاهدة من تناسب
اعضائه واستعداد كل واحد بمقصود خاص كاليد للبطش والرجل للمشي ومعرفة
تشريح الاعضاء يورث علما ضروريا به، واما افتقار المرتب المنظوم الى علم فهو
واضح ايضا فلا يشك العاقل في ان الخط المنظوم لا يصدر الا من عالم بالكتابة
وان كان بواسطة القلم الذي لا يعلم وان البناء الصالح لافادة مقاصد
الاكتنان كالبيت والحمام والطاحونة وغيرها لا يصدر الا من عالم بالبناء
فان امكن التشكك في شيء من هذا فطريقه ان يترقى منه الى اوضح منه حتى يترقى
الى الاوليات وشرح ذلك ليس من غرضنا بل الغرض ان نبين ان الازدواج
الاوليات على الوجه الذي اوقعه الخليل ميزان صادق مفيد لمعرفة حقيقته ولا



قايل بابطال هذا فانه ابطال لتعليم الله تعالى انبياءه وابطال لما اثنى الله سبحانه
عليه، اذ قال وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه، والتعليم لا محالة حق ان لم يكن
الرأي حقا وفي ابطال هذا ابطال للرأي والتعليم جميعا ولا قايل به اصلا **القول**
**في الميزان الاوسط** قال قد فهمت الميزان الاكبر وحده وعياره ومظنة
استعماله فاشرح لي الميزان الاوسط ما هو ومن اين حصل تعليمه ومن وضعه
ومن استعمله **قلت** الميزان الاوسط ايضا للخليل عليه السلام حيث قال
تعالى لا احب الافلين، وكمال صورة هذا الميزان ان القمر افل والاله ليس بافل
ولكن القرآن على الايجاز والاضمار مبناه لكن العلم بنفي الالهية من القمر
لا يصير ضروريا الا بمعرفة هذين الاصلين وهو ان القمر افل والاله ليس بافل
واذا عرف الاصلان صار العلم بنفي الالهية عن القمر ضروريا **فقال** انا لا اشك
في ان نفي الالهية عن القمر يتولد من هذين الاصلين ان عرفا جميعا لكني اعرف

ان القمر آفل وهذا معلوم بالحس اما ان الاله ليس بآفل فلا اعلمه ضرورة
ولا حسا قلت وليس غرضي من حكاية هذا الميزان ان اعرفك ان القمر ليس
باله بل ان اعلمك ان هذا الميزان صادق والمعرفة الحاصلة منه بهذا الطريق
من الوزن ضرورية وانما حصل العلم به في حق الخليل اذا كان معلوما عنده
ان الاله ليس بآفل وان لم يكن ذلك العلم اوليا بل مستفادا من اصلين
آخرين ينتجان العلم بان الاله ليس بمتغير وكل متغير حادث والافول هو التغير
فبنى الوزن على المعلوم عنده فخذ انت الميزان واستعمله حيث يحصل لك
العلم بالاصلين فقال فهمت بالضرورة ان هذا الميزان صادق وان
هذه المعرفة يلزم من الاصلين اذا صارا معلومين ولكني اريد ان تشرح لي حد هذا
الميزان وحقيقته ثم تشرح لي عباره من الصنجة المعروفة عندي ثم امثال
استعماله في مظان الغموض فان نفي الالهية عن القمر كالواضح عندي



قلت اما حده فهو ان كل شيئين وصف احدهما بوصف يسلب ذلك
الوصف عن الآخر ولا يوصف به فهما متباينان ولما كان حد الميزان الاكبر ان
الحكم على الاعم حكم على الاخص ويندرج فيه لا محالة فحد هذا ان الذي ينفى عنه
ما ثبت لغيره مباين لذلك الغير فالاله ينفى عنه الافول والقمر يثبت له
الافول فهذا يوجب التباين بين الاله والقمر وهو ان يكن القمر الها ولا الاله
قمرا وقد علم الله تعالى نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الوزن فهذا
الميزان في مواضع كثيرة من القرآن اقتداء بابيه الخليل صلوات الله عليهما فاكتف
بالتنبيه على موضعين واطلب الباقي من آيات القرآن احدهما قوله تعالى
لنبيه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق وذلك لانهم ادعوا انهم
ابناء الله تعالى فعلمه تعالى كيفية خطائهم بالقسطاس المستقيم فقال
قل فلم يعذبكم بذنوبكم وكمال صورة هذا الميزان ان البنين لا يعذبون وانتم

معذبون فاذن لستم ابناء فهما اصلان اما ان البنين لا يعذبون يعرف
بالتجربة، واما انهم يعذبون يعرف بالمشاهدة ويلزم منهما ضرورة نفي
البنوة، الموضع الثاني قوله تعالى قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم
اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه
ابدا، وذلك انهم ادعوا الولاية وكان من المعلوم ان الولي يتمنى لقاء وليه
وكان من المعلوم انهم لا يتمنون الموت الذي هو سبب اللقاء فلزم ضرورة
انهم ليسوا اولياء الله، وكمال صورة هذا الميزان ان يقال كل ولي يتمنى لقاء
وليه فاليهودي ليس يتمنى لقاء الله فيلزم منه انه ليس بولي الله وحده
ان التمني يوصف به الولي وينفى عن اليهودي فيكون الولي واليهودي متباينين
بسلب احدهما عن الآخر فلا يكون الولي يهوديا واليهودي وليا، واما عبارة
من الصيغة المعلومة فما عندي انك تحتاج اليه مع وضوحه، ولكن ان اردت



استظهارا فانظر انك اذا عرفت ان الحجر جماد ثم عرفت ان الانسان
ليس بجماد كيف يلزمك منه ان تعرف ان الانسان ليس بحجر لان الجمادية
ثبتت للحجر وتنفي عن الانسان فلا جرم يكون الانسان مسلوبا عن الحجر والحجر
مسلوبا عن الانسان فلا الانسان حجر ولا الحجر انسان، واما مظنة استعماله من مواقع
الغموض فكثير، واحد شطري المعرفة معرفة التقديس وهو ما يتقدس عنه الرب
تعالى وتقدس وجميع معارفه يوزن بهذا الميزان اذ الخليل عليه السلام
استعمل هذا في التقديس، وعلمنا كيفية الوزن به اذ نعرف بهذا الميزان
نفي الجسمية عن الله تعالى فكذلك نقول الاله ليس بجوهر متحيز لان الاله
ليس بمعلول وكل متحيز فاختصاصه بحيزه الذي مختص به معلول فيلزم منه انه
ليس بجوهر، ونقول ليس بعرض لان العرض ليس بحي عالم والاله حي عالم
فليس بعرض، وكذلك سائر ابواب التقديس يتولد معرفتها ايضا من

ازدواج اصلين على هذا الوجه احدهما اصل سالب مضمونه النفي، والثاني اصل
موجب مضمونه الاثبات ويتولد منهما معرفة بالنفي والتقديس **القول في الميزان**
**الاصغر** فقال قد فهمت هذا ايضا وضحا ضروريا فاشرح لي الميزان الاصغر
وحده وعياره وبطنة استعماله من الغوامض **قلت** الميزان الاصغر تعلمناه
من الله تعالى حيث علمه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم في القرآن وذلك
في قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل
من انزل الكتاب الذي به موسى نورا وهدى للناس، ووجه الوزن بهذا
ان نقول قولهم بنفي انزال الوحي على البشر قول باطل لازدواج المنتج بين الاصلين،
احدهما ان موسى بشر، والثاني ان موسى منزل عليه الكتاب فيلزم منه بالضرورة
قضية خاصة، وهو ان بعض البشر منزل عليه الكتاب ويبطل به الدعوى العامة
بانه لا ينزل كتاب على بشر اصلا، اما الاصل الاول وهو قولك موسى



بشر فمعلوم بالحس، واما الثاني ان موسى منزل عليه الكتاب وكان
معلوما باعترافهم اذ كانوا يخفون بعضه ويظهرون بعضه كما قال تعالى
ويخفون كثيرا، وانما ذكر هذا في معرض المجادلة بالاحسن، ومن خاصية المجادلة
انه يكفي فيه كون الاصلين مسلمين من الخصم مشهورين عنده وان امكن
الشك فيه لغيره فان النتيجة يلزمه اذا كان هو معترفا به، واكثر ادلة القران
على هذا الوجه، فان صادفت من نفسك امكان التشكك في بعض اصولها
ومقدماتها فاعلم ان المقصود بها محاجة من لم يشك فيه، واما انت
فالمقصود من حقك ان تتعلم منه كيفية الوزن في ساير المواضع، واما
عيار هذا الميزان ان من يقول لا يتصور ان يمشي الحيوان بغير رجل فنعلم
انك اذا قلت الحية حيوان والحية تمشي بغير رجل فيلزم منه ان بعض
الحيوان يمشي بغير رجل وان قول من يقول لا يمشي الحيوان الا برجل قول باطل،

منقوض، واما مواضع استعماله من الغوامض كثير فان بعض الناس يقول
كل كذب فهو قبيح لعينه، فنقول من رأى وليا من الاولياء قد اختفى عن
ظالم فسأله الظالم عن موضعه فاخفاه فقوله هل هو كذب قال نعم قلنا
فهل هو قبيح قال لا بل القبيح الصدق المفضي الى هلاكه، فنقول له فانظر الى
الميزان فانا نقول قوله في اخفاء محله كذب فهذا اصل معلوم وهذا
القول ليس بقبيح وهو الاصل الثاني فيلزم منه ان كل كذب ليس بقبيح
فتأمل الان هل يتصور الشك في هذا النتيجة بعد الاعتراف بالاصلين وهل
هذا وضح مما ذكرته من المقدمة التجربية الحسية في معرفة ميزان النقدين،
واما حد هذا الميزان فهو ان كل وصفين اجتمع على شيء واحد فبعض
احد الوصفين لا بد وانا نوصف بالاخر بالضرورة ولا يلزم ان
نوصف به كله اما وصف كله به فلا يلزم لزوما ضروريا بل قد يكون

15

في بعض الاحوال وقد لا يكون فلا يوثق الا ترى ان الانسان يجتمع
عليه الوصف بانه حيوان وانه جسم فيلزم منه بالضرورة ان بعض
الجسم حيوان ولا يلزم منه ان كل جسم حيوان ولا يغرنك امكان
وصف كل حيوان بانه جسم فان وصف كل وصف بالاخر اذا لم
يكن ضروريا في كل حال لم يكن المعرفة الحاصلة به ضرورية ثم قال الرفيق
قد فهمت هذه الموازين الثلث ولكن لم خصصت الاول باسم الاكبر
والثاني بالاوسط والثالث بالاصغر قلت لان الاكبر هو الذي
يتسع لاشياء كثيرة والاصغر خلافه والاوسط بينهما والميزان الاول
اوسع الموازين اذ يمكن ان يستفاد منه المعرفة بالاثبات العام
والاثبات الخاص والنفي العام والنفي الخاص فقد امكن ان يوزن به
اربعة اجناس من المعارف، واما الثاني فانه لا يمكن ان يوزن به

الا النفي ولكن يوزن به النفي العام والخاص جميعا، واما الثالث
فلا يوزن به الا الخاص كما ذكرت لك ان يلزم منه ان بعض احد
الوصفين يوصف بالاخر لاجتماعهما على شيء واحد مما لا يتسع
الا للحكم الخاص الجزئي فهو اصغر لا محالة، نعم وزن الحكم العام
من موازين الشيطان وقد وزن به اهل التعليم بعض معارفهم واما
الشيطان في امنية الخليل عليه السلام في قوله هذا ربي هذا اكبر وسأتلو
عليك قصته بعد هذا **القول في ميزان التلازم** قال فاشرح لي
ميزان التلازم فقد فهمت الاقسام الثلث من موازين التعادل
**قلت** هذا الميزان مستفاد من قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا، ومن قوله تعالى قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا
الى ذي العرش سبيلا، ومن قوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها،
وتحقيق صورة هذا الميزان ان نقول لو كان للعالم الهان لفسدا



فهذا اصل ومعلوم انهما لم يفسدا فهذا اصل آخر فيلزم منهما نتيجة ضرورية وهو نفي
الالهين، ولو كان مع ذي العرش آلهة لابتغوا الى ذي العرش سبيلا، ومعلوم انهم
لم يبتغوا، فيلزم نفي الهة سوى ذي العرش، واما عيار هذا الميزان بالصنجة المعروفة
فذلك ان كانت الشمس طالعة فالكواكب خفية، ونقول ان اكل فلان فهو شبعان
وهذا نعلم بالتجربة، ثم نقول ومعلوم انه اكل وهذا نعلم بالحس فيلزم من الاصل
التجربي والاصل الحسي بالضرورة انه شبعان، واما موضع استعماله في الغوامض فكثير،
حتى يقول الفقيه ان كان بيع الغائب صحيحا فيلزم تصريح الالزام، ومعلوم انه لا يلزم تصريح
الالزام فيلزم منه انه ليس بصحيح، ونعلم الاصل الاول بالاستقراء الشرعي المفيد للظن
وان لم يفد العلم، والثاني بتسليم الخصم ومساعدته، ونقول في النظريات ان كان
صنعة العالم وتركيب الادمي مرتبا عجيبا محكما فصانعه عالم، وهذا في العقل اولى
ومعلوم انه عجيب مرتب وهذا مدرك بالعيان فيلزم منه ان صانعه عالم، ثم نترقى

فنقول ان كان صانعه عالما فهو حي ومعلوم بالميزان الاول انه عالم فيلزم منه انه
حي، ثم نقول ان كان حيا عالما فهو قايم بنفسه فكذلك نعرج من صفة
تركيب الادمي الى صفة صانعه وهو العلم، ثم نعرج من العلم الى الحيوة ثم منهما الى
الذات، وهذا هو المعراج الروحاني، وهذه الموازين سلاليم العروج الى السماء بل الى خالق
السماء، وهذه الاصول درجات السلاليم، واما المعراج الجسماني فلا يفي به كل
قوة بل تخصيص ذلك بقوة النبوة، واما حد هذا الميزان فان كل ما هو لازم
للشيء تابع له في كل حال فنفي اللازم يوجب بالضرورة نفي الملزوم ووجود الملزوم
يوجب بالضرورة وجود اللازم، اما نفي الملزوم ووجود اللازم فلا نتيجة لهما بل
هما من موازين الشيطان وقد يزن به بعض اهل التعليم معرفته، اما ترى ان صحة الصلوة
يلزمها لا محالة كون المصلي متطهرا، فلا جرم يصح ان نقول ان كان صلوة زيد
صحيحة فهو متطهر ومعلوم انه غير متطهر وهو نفي اللازم فيلزم منه ان صلوته غير
صحيحة وهي نفي الملزوم. ونقول ومعلوم ان صلوته صحيحة وهو وجود الملزوم فيلزم منه



انه متطهر وهو وجود اللازم، اما ان قلت ومعلوم انه متطهر فيلزم منه ان صلوته
صحيحة فهذا خطأ لانه ربما بطلت صلوته بعلة اخرى فهذا وجود اللازم فلم
يدل على وجود الملزوم، وكذلك ان قلت ومعلوم ان صلوته ليست بصحيحة فهو اذا
غير متطهر وهذا خطأ غير لازم **القول في ميزان التعاند** ثم قال اشرح لي ميزان التعاند
واذكر لي موضعه من القرآن وعياره ومحل استعماله **قلت** اما موضعه من القرآن
قوله تعالى في تعليم نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قل من يرزقكم من السموات
والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فانه لم يذكر قوله واياكم
في معرض التسوية والتشكيك بل فيه اضمار اصل آخر وهو انا لسنا على ضلال في قولنا
ان الله يرزقكم من السماء والارض فانه الذي يرزق من السماء بانزال الماء ومن
الارض بانبات النبات فاذا انتم ضالون بانكاره ذلك، وكمال صورة هذا
الميزان انا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وهذا اصل ثم نقول ومعلوم
انا لسنا في ضلال وهذا اصل آخر فيلزم من ازدواجهما نتيجة ضرورية وهو انكم في

ضلك. واما عياره من الصنجات المعروفة وهو ان من دخل دارا ليس فيها الا بيتان
ثم دخلت احدهما فلم نره فيه فنعلم علما ضروريا انه في البيت الثاني وهذا
لازدواج اصلين احدهما قوله انه في احد البيتين قطعا. والثاني انه ليس في هذا
البيت اصلا فيلزم منهما انه في البيت الثاني فاذا نعلم كونه في البيت الثاني
تارة بان نراه فيه وتارة بان نرى البيت الثاني خاليا عنه فان علمناه برؤيتنا
اياه فيه كان علما عيانيا وان عرفناه بانا لم نره في البيت الثاني كان هذا علما
ميزانيا ويكون هذا العلم الميزاني قطعيا كالعياني. واما حد هذا الميزان فهو ان
كل ما انحصر في قسمين فيلزم من ثبوت احدهما نفي الاخر ومن نفي احد ثبوت الاخر
ولكن بشرط ان يكون القسمة منحصرة لا منتشرة فالوزن بالقسمة المنتشرة وزن
الشيطان. وبه وزن بعض اهل التعليم كلامهم في مواضع كثيرة ذكرناها في القواصم
وفي جواب مفصل الخلاف والكتاب المستظهري وغيرها من الكتب. واما موضع
استعمال هذا في الغوامض لا ينحصر ولعل اكثر النظريات تدور عليه فان من انكر موجودا

قديما. فنقول له الموجودات اما ان يكون كلها حادثة او بعضها قديما وهذا ١٨
حاصر لانه بين النفي والاثبات دائر. ثم نقول ومعلوم ان كلها ليست بحادثة
فيلزم ان فيها قديما. فان قال ولم قلت ان كلها ليست حادثة فنقول
لانها كلها لو كانت حادثة لكان حدوثها بانفسها من غير سبب او فيها
حادث بلا سبب وباطل حدوث حادث في وقت خاص بغير سبب فبطل ان يكون
كلها حادثة فثبت ان فيها موجودا قديما ونظائر استعمال هذا الميزان لا ينحصر
فقال قد فهمت بالحقيقة صدق هذه الموازين الخمس ولكن اشتهي ان اعرف معنى
القابها ولم خصصت الاول بانه ميزان التعادل والاخر بالتلازم والثالث
بالتعاند قلت سميت الاول ميزان التعادل لان فيه اصلين متعادلين
كانهما كفتان متحاذيتان. وسميت الاخر ميزان التلازم لان احد الاصلين يشتمل
جزوين احدهما لازم والاخر ملزوم كقولك لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا

فان قولك لفسدتا لازم والملزوم قولك لو كان فيهما آلهة ولزمت النتيجة
من نفي اللازم، وتسميت الثالث ميزان التعاند لانه رجع الى حصر قسمين بين
النفي والاثبات يلزم من ثبوت احدهما نفي الاخر ومن نفي احدهما ثبوت الاخر
فبين القسمين تعاند وتضاد **فان قال** هذه الاسامي انت ابتدعتها وهذه
الموازين انت انفردت باستخراجها ام سبقت اليها **قلت** اما هذه الاسامي
فانا ابتدعتها، واما الموازين فانا استخرجتها من القرآن وما عندي اني سبقت
الى استخراجها من القرآن، واما اصل الموازين فقد سبقت باستخراجها وله عند
مستخرجيها من المتأخرين اسامي اخر سوى ما ذكرتها، وعند بعض الامم الخالية
السابقة على بعثة محمد وعيسى عليهما السلام اسامي اخر كانوا قد تعلموها من
صحف ابرهيم وموسى عليهما السلام ولكن بعثني على ابدال كسوتها باسامي اخر
ما عرفت من ضعف قريحتك وطاعة نفسك للاوهام فاني رأيتك



من الاغترار بالظواهر بحيث لو سقيت عسلا احمر في قارورة حجام لم تطق تناوله
لنفور طبعك عن المحجمة وضعف عقلك عن ان يعرفك ان العسل طاهر في
اي زجاجة كانت بل ترى التركي يلبس المرقعة والدراعة فتحكم عليه بانه صوفي
او فقيه، ولو لبس الصوفي القباء والقلنسوة حكم عليك وهمك بانه تركي
فابدا يستجرك وهمك الى ملاحظة غلاف الاشياء دون اللباب وكذلك لا تنظر
الى القول من ذات القول بل من حسن صيغته او حسن ظنك بقائله فاذا كانت
عبارته مستكرهة عندك او قائله قبيح الحال في اعتقادك رددت القول
وان كان في نفسه حقا، ولو قيل لك قل لا اله الا الله عيسى رسول الله نفر
عن ذلك طبعك، وقلت هذا قول النصارى فكيف اقوله ولم يمكن لك
من العقل ما يعرفك ان هذا القول في نفسه حق وان النصراني ممقوت لا لهذه
الكلمة ولا لسائر الكلمات بل لكلمتين فقط احديهما قوله ليس محمد رسول الله

والثالثة قوله الله ثالث ثلثة وسائر اقواله وراء ذلك حق فلما رأيتك
ورأيت رفقاءك من اهل التعليم ضعفاء العقول لا يخدعهم الا الظواهر نزلت
على حدك فسقيتك الدواء في كوز الماء وسقتك به الى الشفاء وتلطفت
تلطف الطبيب بمريضه ولو ذكرت لك انه دواء وعرضته في قدح الدواء
لكان ليشمئز عن قبوله طبعك ولو قبلته لكنت تتجرعه ولا يكاد تسيغه
فهذا عذري في ابدال تلك الاسامي وابداع هذه يعرفه من يعرفه
وينكره من يجهله قال لقد فهمت هذا كله ولكن اين ما كنت وعدته
من ان هذا الميزان له كفتان وعمود واحد يتعلق به الكفتان جميعا ولست
ارى في هذه الموازين الكفة والعمود واين ما ذكرته من الموازين التي هي اشبه
بالقبان قلت هذه المعارف الست قد استفدتها من اصلين فكل
اصل كفة والجزء المشترك بين الاصلين الداخل فيهما عمود واضرب لك

مثالا من الفقهيات فلعله اقرب الى فهمك فاقول قولك كل مسكر
حرام كفة وقولك وكل نبيذ مسكر كفة اخرى والنتيجة ان كل نبيذ حرام فههنا
فانه يوجد في احد الاصلين ثلثة امور فقط النبيذ والمسكر والحرام اما النبيذ
فانه يوجد في احد الاصلين فقط فهو كفة واما الحرام فيوجد في الاصل الثاني
فقط وهي الكفة الثانية واما المسكر فمذكور في الاصلين جميعا وهو مكرر
فيهما مشترك بينهما فهو العمود والكفتان متعلقتان به اذ احديهما تتعلق به
تعلق الموصوف بالصفة وهو قولك كل نبيذ مسكر فان النبيذ موصوف
بالصفة المسكر والاخرى متعلقة تعلق الصفة بالموصوف وهو قولك
وكل مسكر حرام فتأمل ذلك حتى تعرف بانك في هذا الميزان تارة يكون
من الكفة وتارة يكون من العمود وتارة من تعلق الكفة بالعمود على ما نبهتك

على زعم يسير بينه في ميزان الشيطان، وأما المشبه بالقبان فهو ميزان التلازم
إذ أحد طرفيه أطول من الآخر كثيرا فإنك تقول لو كان بيع الغائب صحيحا
للزم تصريح الالزام، وهذا أصل طويل يشتمل على جزئين لازم وملزوم وذلك في
هو قولك وليس يلزم تصريح الالزام وهذا أصل آخر أقصر منه فكانت بالرمانة
القصيرة المقابلة لكفة الميزان، وأما ميزان التعادل فيتعادل فيه كفتان
ليس أحدهما أطول من الآخر بل كل واحد منهما يشتمل على صفة وموصوف
فقط. فافهم هذا مع ما عرفتك من أن الميزان الروحاني لا يكون كالميزان
الجسماني بل يناسبه مناسبة ما، وكذلك يمكن تشبيهه بتولد النتيجة من
ازدواج الأصلين إذ يجب أن يدخل شيء من أحد الأصلين في الآخر وهو
المسكر الموجود في الأصلين حتى يتولد النتيجة، فإن لم يدخل جزء من أحد
الأصلين في الآخر لم يتولد منه قولك كل مسكر حرام، وكل مغصوب مضمون



نتيجة أصلا وهما أصلان أيضا لكن لم يجز بينهما نكاح وازدواج إذ ليس
يدخل جزء من أحدهما في الآخر، وإنما النتيجة يتولد من الجزء المشترك الداخل من أحدهما
في الآخر، وهو الذي سميناه عمود الميزان، ولو فتح لك باب الموازنة من المحسوس
والمعقول يفتح لك باب عظيم في معرفة الموازنة بين عالم الملك والشهادة
وبين عالم الغيب والملكوت وتحته أسرار عظيمة، من لم يطلع عليها حرم الاقتباس
من أنوار القرآن والتعلم منه ولم يحط من علمه إلا بالقشور، وكما أن في القرآن موازين
كل العلوم فكذلك فيه مفاتيح كل العلوم كما أشرت إليه في كتاب جواهر القرآن
فاطلبه منه، وسر الموازنة بين عالم الشهادة والملكوت يتجلى في المنام الحقائق المعنوية
في الأمثلة الخيالية لأن الرؤيا جزء من النبوة في عالم النبوة يتجلى تمام الملك والملكوت
ومثاله من النوم رجل رأى في المنام كأن في يده خاتما يختم به أفواه الرجال وفروج النساء،
فقص رؤياه على ابن سيرين، فقال إنك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الصبح،

فقال هو كذلك فانظر الان لم تجلى له حاله من عالم الغيب في هذا المثال
فاطلب الموازنة بين هذا المثال والاذان قبل الصبح في رمضان، وربما يرى هذا
المؤذن نفسه يوم القيمة وفي يده خاتم من نار، ويقال له هذا هو خاتم الذي كنت
تختم به افواه الرجال وفروج النساء، فيقول والله ما فعلت هذا، فيقال نعم كنت تفعله
ولكن تجهله لان هذا روح فعلك ولا يتجلى حقايق الاشياء وارواحها الا في عالم
الارواح ويكون الروح في غطاء من الصورة في عالم التلبيس عالم الحس والخيال والان
فقد كشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد، وكذلك يفتضح كل من ترك
حدا من حدود الشرع وان اردت له تحقيق فاطلبه من باب حقيقة الموت من كتاب
جواهر القران لترى فيه العجايب واطل التأمل فيه فعساك ينفتح لك روزنة الى
عالم الملكوت تسترق منها السمع فاني ما اراك يفتح لك بابها وانت تنتظر معرفة
الحقايق من معلم غايب لا تراه ولو رأيته لوجدته اضعف منك في المعرفة كثيرا

فخذها ممن سافر وبحث ويعرف فعلى الخبير سقطت فيه، فقال هذا الان حديث
آخر يطول بيني وبينك اللجاج فيه، فان هذا المعلم الغايب وان كنت لم اره نظرة
فقد سمعت خبره، كالليث وان لم اره فقد رأيت اثره، ولقد كانت والدتي الى ان
تموت ومولانا صاحب قلعة الموت المعلم خاوند علاء الدولة يثنيان عليه ثناء
بالغا حتى قالا انه لمطلع على ما يجري في العالم ولو على الف فرسخ، افاكذب
والدتي وهي العجوزة العفيفة البرة، او مولانا وهو الامام الحسن السيرة والسريرة،
كلا بل هما شاهدان صادقان كيف وقد طابقهما على ذلك جميع رفقائي من اهل
دامغان واصفهان وهم الامر المطاع، وفي حكمهم سكان القلاع، افترى انهم متخدعون
وهم الاذكياء ام متمسون وهم الاتقياء، هيهات هيهات دع عنك الغيبة، فان
مولانا يطلع على ما يجري بيننا من غير ريبة، اذ لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء، فاخشى ان التعرض لمقته بمجرد السماع والاصغاء، فاطو طومار الهذيان

وارجع الى حديث الميزان واشرح لي ميزان الشيطان **القول في موازين الشيطان**
**وكيفية اهل التعليم به** فقلت اسمع الان يا مسكين شرح ميزان رفقائك
فانك تعد في غلوائك، واعلم ان كل ميزان ذكرته من موازين القران فللشيطان
في جنبه ميزان ملصق به يمثله بالميزان الحق ليوزن به فيغلط لكن الشيطان انما يدخل
من مواقع الثلم فمن سد الثلم واحكمها امن الشيطان، ومواقع ثلمه عشرة قد جمعتها
وشرحتها في كتاب محك النظر وكتاب معيار العلم الى غير ذلك من دقايق وشروط
الميزان ان لم اذكرها لقصور فهمك عن ادراكها، وان اردت معاقد جملها الفيتها
في كتاب المحك، وان اردت شرح تفاصيلها وجدتها في كتاب المعيار، لكني اقدم
الان انموذجا واحدا وذلك هو الذي القاه الشيطان في خاطر الخليل عليه السلام
اذ قال تعالى **وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان**
**في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان الاية**، وانما ذلك في مبادرته الى الشمس



وقوله هذا ربي هذا اكبر اجل انه اراد ان يخدعه به وكيفية الوزن به ان الاله هو اكبر، فهذا
اصل معلوم بالاتفاق والشمس هو الاكبر من الكواكب، وهذا اصل اخر معلوم بالحس
فيلزم منه ان الشمس اله وهي النتيجة وهذا ميزان الصقه الشيطان بالميزان الاصغر من
موازين التعادل لان الاكبر وصف وجد للاله ووجد للشمس فتوهم ان احدهما يوصف
بالاخر وهو عكس الميزان الاصغر اذ حد ذلك الميزان ان يوجد شيئان بشيء واحد لشيئين
فانه ان وجد شيئان بشيء واحد وصف بعض احدهما بالاخر كما سبق ذكره اما اذا وجد شيء
واحد لشيئين فلا يوصف احد الشيئين بالاخر فانظر كيف لبس الشيطان بالعكس وعيار هذا الميزان
الباطل من الصنعة الظاهرة البطلان اللون فانه يوجد للسواد والبياض جميعا ثم لا يلزم ان
يوصف البياض بالسواد والسواد بالبياض بل لو قال قايل البياض لون والسواد لون فيلزم منه ان السواد
بياض كان خطا باطلا فكذلك قوله الاله اكبر والشمس اكبر فالشمس الاله فهذا خطا اذ يجوز ان
يوصف المتضادان بوصف واحد فاتصاف شيئين بوصف واحد لا يوجب بين الشيئين

اتصالا اما اتصاف شيء واحد لشيئين يوجب بين الوصفين اتصالا، ومن كل فهمه
لم يدرك التفرقة بين اتصاف شيء بشيئين وبين اتصاف شيئين بشيء. فقال
قد اتضح لي بطلان هذا لكن متى وزن اهل التعليم كلامهم به. قلت وزنوا به كلاما كثيرا اشح على
اوقاتي ان اضيعه بحكايته لكن اريك انموذجا واحدا لقد سمعت كثيرا قولهم ان الحق
مع الوحدة والباطل مع الكثرة، ومذهب الرأي يفضي الى الكثرة ومذهب التعليم يفضي الى
الوحدة فيلزم منه ان يكون الحق في مذهب التعليم، قال نعم سمعت هذا كثيرا واعتقدته
وعرف برهانا قاطعا لا اشك فيه، فقلت فهذا ميزان الشيطان انظر كيف انعكس
رفقاؤك استعملوا قياس الشيطان وميزانه في ابطال ميزان الخليل عليه السلام وسائر الموازين
قال فما وجه تخريجه عليه. قلت الشيطان انما يلبس في الموازين بتكثير الكلام فيه وتشويشه
حتى لا يعلم منه موضع التلبيس، وهذا كلام كثير حاصله ان الحق يوصف بالوحدة فهذا
اصل وان مذهب التعليم يوصف بالوحدة فهذا اصل آخر فنقول فيلزم منه ان
مذهب التعليم يوصف بالحق لان الوحدة وصف واحد اتصف به شيئان فيجب

اتصال احد الشيئين بالاخر كقول القايل اللون وصف واحد اتصف به البياض والسواد جميعا
فيلزم اتصال البياض بالسواد وكقول الشيطان الاكبر وصف واحد يتصف به الاله والشمس
فيلزم ان يتصف الشمس بالاله فلا فرق بين هذه الموازين الثلث اعني وجود اللون للسواد والبياض
ووجود الاكبر للاله والشمس ووجود الوحدة للتعليم والحق فتأمل لتفهم ذلك. فقال قد فهمت هذا
قطعا ولكن لا اقنع بمثال واحد فاذكر لي مثالا آخر من موازين رفقائي ليزداد قلبي سكونا
الى انخداعهم بموازين الشيطان، قلت اما سمعت قولهم ان الحق اما ان يعرف بالرأي
المحض لتعارض العقول والمذاهب فثبت انه بالتعليم، فقال اي والله قد سمعت ذلك كثيرا
وهو مفتاح دعوتهم وعنوان حجتهم، قلت فهذا وزن بميزان الشيطان الذي لصقه بميزان
التعاند فان ابطال احد القسمين ينتج ثبوت الاخر، ولكن بشرط ان تكون القسمة منحصرة
لا منتشرة والشيطان يلبس المنتشرة بالمنحصرة اذ ليس دائرا بين النفي والاثبات بل يمكن بينهما
قسم ثالث وهو ان يدرك بالعقل والتعليم جميعا وعياره من الصيغ المعروفة بطلانهما
قول القايل الالوان لا يدرك بالعين بل بنور الشمس، فقلت لم قال لا يخلو اما ان يدرك

بالعين او بنور الشمس وباطل ان يدرك بالعين لانه لا يدرك بالليل، فثبت انه يدرك
بنور الشمس، فيقال له يا مسكين بينهما قسم ثالث وهو ان يدرك بالعين ولكن عند نور
الشمس، فقال قد فهمت هذا ايضا لكن اريد ان يزيد لي شرحا للغلط الواقع في الانموذج
الاول وهو حديث الحق الوحدة فان التفطن لموضع الغلط منه لطيف جدا، قلت وجه
الغلط ما ذكرت وهو التباس اتصاف شيء واحد بشيئين باتصاف شيئين بشيء واحد ولكن
اصل هذا الغلط ايهام العكس فان من علم ان كل حق واحد ربما ظن ان كل واحد حق وليس
يلزم منه هذا العكس بل اللازم عكس خاص، وهو ان بعض الواحد حق فان قولك كل انسان
حيوان لا يلزم منه عكس عام، وهو ان كل حيوان انسان بل اللازم ان بعض الحيوان انسان
ولا يستولي الشيطان بحيلة على الضعفاء اشد واكثر من ايهام العكس العام حتى ينتهي الى المحسوسات
حتى ان من رأى حبلا اسود مبرقش اللون يرتاع منه لتشبهه بالحية، وسببه ان كل حية طويل
مبرقش اللون فيسبق وهمك الى عكسه العام وتحكم بان كل طويل مبرقش اللون فهو حية وكان



اللازم منه عكس خاص وهو ان بعض الطويل المبرقش حية لا ان كله كذلك وفي العكس
والنقيض دقائق كثيرة لا تفهمها الا من كتاب محك النظر ومعيار العلم، فقال اني اجد
لكل مثال تذكرة طمأنينة اخرى بمعرفة موازين الشيطان فلا تبخل علي بمثال آخر من موازين
الشيطان، قلت ان خلل الميزان تارة يكون من سوء التركيب بان لا يكون تعلق الكفتين
بالعمود تعلقا مستقيما، وتارة يكون من نفس الكفة وفساد طينتها التي منها اتخذت
فانها اما ان تتخذ من حديد او نحاس او جلد حيوان، فلو اتخذ من الثلج او القطن لم يمكن
الوزن به، والسيف تارة يفسد بخلل شكله بان يكون على هيئة العصا غير معترض
ولا حاد، وتارة يكون من فساد طينته ومادته التي منها اتخذ بان يكون متخذا
من خشب او طين، فكذلك ميزان الشيطان قد يكون فساده بفساد تركيبه كما ذكرته
في مثال كبر الشمس ووحدة الحق فان صورتهما مختلة معكوسة كالذي يجعل الكفتين
فوق العمود ويريد ان يزن به، وتارة يكون لفساد المادة كقول ابليس انا خير منه خلقتني

من نار وخلقته من طين في جواب قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت،
وقد ادرج ابليس في هذا ميزانين اذ علل منع السجود بكونه خيرا منه، ثم اثبت الخيرية بانه
خلق من نار واذا خرج بجميع اجزاء حجته وجد ميزانه مستقيم التركيب لكن فاسد المادة وكمال
صورته ان يقول انا خير والخير لا يسجد فانا اذاً لا اسجد، فكان اصل هذا القياس ممنوع لانه غير
معلوم والعلم الخفي يوزن بالمعلوم الجلي، وما ذكره غير جلي ولا مسلم، اذ نقول له لا نسلم
انك خير وهذا منع الاصل الاول، والاخر انا لا نسلم ان الخير لا يلزمه السجود لان اللزوم والاستحقاق
بالامر لا بالخيرية لكن ترك ابليس الدلالة على الاصل الثاني، وهو ان اللزوم بالامر لا بالخيرية
واشتغل باقامة الدليل على اني خير لاني خلقت من نار وهذه دعوى الخيرية بالنسب وكمال
صورة دليله وميزانه ان يقول المنسوب الى الخير خير بل الخيرية بصفات الذات لا بالنسب،
فيجوز ان يكون الحديد خيرا من الزجاج ثم يتخذ من الزجاج بحسن الصنعة ما هو خير من المتخذ من
الحديد، وكذلك نقول ابراهيم خير من ولد نوح، وان كان ابراهيم مخلوقا من آزر وهو كافر

وولد نوح من نبي واما اصله الذي هو الى مخلوق من خير لان النار خير من طين
فهذا ايضا غير مسلم بل الطين من التراب والماء، وربما يقال ان بامتزاجهما الحيوان والنبات
وبهما يحصل النشو والنماء، واما النار فمفسد مهلك للجميع فقوله ان النار خير باطل، فهذه
الموازين صحيحة الصور فاسدة المادة يشبه السيف المتخذ من الخشب بل هو كسراب بقيعة
يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه، وكذلك
يرى اهل التعليم احوالهم يوم القيمة اذا كشف لهم حقايق موازينهم، وهذا ايضا مدخل
من مداخل الشيطان ينبغي ان يسد، بل المادة الصحيحة التي يستعمل في النظر كل اصل معلوم
قطعا، اما بالحس او بالتجربة او بالتواتر الكامل او باول العقل او بالاستنتاج من هذه
الجملة، اما الذي يستعمل في المحاجة والمجادلة مما يعترف الخصم به ويسلمه، وان لم يكن معلوما
في نفسه فانه يصير عليه حجة، وكذلك يجري بعض ادلة القرآن فلا ينبغي ان ينكر ادلة
القرآن اذا امكنك التشكك في اصولها لانها وردت على طوائف كانوا معترفين بها

## القول في الاستغناء بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبعلمائه عن امام آخر

وبيان معرفة صدق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق اوضح من النظر في المعجزات واوثق منه وهو طريق العارفين، فقال لقد اكملت الشفاء، وكشفت الغطاء، واتيت باليد البيضاء لكن بنيت قصرا، وهدمت مصرا، فاني الى الان كنت اتوقع ان اتعلم منك الوزن بالميزان واستغني بك وبالقرآن عن الامام المعصوم، والان فاذ ذكرت هذه الدقايق في مداخل الغلط فقد ايست من الاستقلال به فاني لا آمن ان اغلط لو اشتغلت بالوزن، وقد عرفت الان ان الناس لم اختلفوا في المذاهب وذلك انهم لم يفطنوا لهذه الدقايق كما فطنت فيغلط بعضهم واصاب بعضهم، فاذن اقرب الطرق الى ان اعول على الامام حتى اتخلص من هذه الدقايق، فقلت يا مسكين فمعرفتك بالامام الصادق ليست ضرورية، فهي اما تقليد للوالدين او هي موزونة بشيء من هذه الموازين فان كل علم ليس اوليا فبالضرورة يكون حاصلا عند صاحبه بقيام هذه الموازين عنده في نفسه وان كان هو لا يشعر به، فانك عرفت صحة ميزان التعديل بانتظام

الاصلين في ذهنك بالتجربة والحس وكذا ساير الناس وهم لا يشعرون به، ومن يعرف ان هذا الحيوان مثلا غير حامل لانه بغل عرف بانتظام الاصلين، وان كان لا يشعر بمصدر علمه، وكذلك كل علم في العالم يحصل للانسان فيكون كذلك فانت ان اخذت اعتقاد العصمة في الامام الصادق بل نبي محمد تقليدا من الوالدين والرفقاء لم تتميز عن اليهود والمجوس فانهم كذلك فعلوا وان اخذت من الوزن بشيء من هذه الموازين فلعلك غلطت في دقيقة من دقايقه فينبغي ان لا تثق به فقال صدقت فاين الطريق فلقد سددت طريق التعليم والوزن جميعا قلت هيهات راجع القرآن فقد علمك الطريق اذ قال ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ولم يقل سافروا فاذا هم مبصرون فانت تعلم ان المعارف كثيرة فلو ابتدات في كل مسئلة سفرا الى الامام المعصوم بزعمك طال عناؤك وقل علمك لكن طريقك ان تتعلم مني كيفية الوزن وتستوفي شروطه فان اشكل عليك شيء عرضته على الميزان وتذكرت شروطه بفكر صاف وجد واف فاذا انت مبصر وهذا كما انك ان حسبت ما لك عليك او لك عليه